له فاستبكى وبكى فقال له مروان ما يبكيك قال لما اى شئ
كنت عنه عزوبا كبرت سنى ورق عظمى وكثرت الدموع فى عينى
ورميت فى احسن ما يبدو منى ولولا هواى فى يزيد ابصرت قصدى
فتامل هذا الكلام البليغ منه الدال على ما عنده من العلم والمعرفة
لاسيما قوله اولا وانى لا ارجو وثانيا وما ايأس فان فرقه بين
المقامين مبنى على غاية الرجا والخوف وانهما مستويان عنده
كما هو الاصح عندنا فى حق الصحيح واما المريض فالاولى له تغليب
رجائه على خوفه لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح
انا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا وفى رواية لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن ظنه بربه اى يظن انه سيغفر له ويرحمه
وتامل قوله وان كان مرض منى عضو الى اخره تجده اصلا عظيما
فى الرضاء وفى الشكر لان الانسان اذا انزل به مرض فى عضو
من اعضائه فينبغى له الرضا بذلك والشكر لربه لانه وان
ابتلاه بمرض عضو فقد ابقى له اعضاء لا تحصى سالمة من المرض
وهذه نعم كثيرة لا تحصى فى مقابلة بلية واحدة فليرض بهذه
البلية ويشكر على تلك النعم ليكون من جملة الراضين
الشاكرين الذين هم افضل العارفين واعلم العلماء العاملين
وقوله وجد منى بعض خاصتكم الى اخره تجده غاية فى التسليم
والتسلى اى ان فرض ان بعض خاصتكم غضب على فلا يؤثر
غضبه فى لانه ان كان عن غير موجب فظاهر وعن موجب
فينبغى ان يسامح فى ذلك لانى تكررت منى الصلات
الكثيرة لعامتكم فليكن هذه بتلك وقوله فما الى ان اتمنى
الخ فيه الاعتراف بتوالى نعم الله عليه وانه قانع بما وصل اليه
من النعم ساكت عن تمنى اكثر من ذلك فانه قد يكون للنفس فيه
حظ وكل ما لها فيه حظ ولو بالقوة ينبغى تركه والاعراض عنه

وقوله

وقوله رحمه الله الخ فيه غاية التواضع واظهار الافتقار والاحتياج
الى دعاء الرعية وانه واحد من جملتهم محتاج اليهم وقوله
كبرت سنى الخ فيه اظهار الافتقار الى الله تعالى وانه بعد ان وصل
الى هذه الامور صار ضعيفا عاجزا لا قوة له على الملك وما يحتاج
اليه الا بمعونة عظيمة له من ربه وقوله ولولا هواى الخ فيه غاية
التسجيل على نفسه بان فرط محبته ليزيد اعمت عليه طريق الهدى
واوقعت الناس بعده مع ذلك الفاسق المارق فى الردى
لكنه قضاء الحتم وقدر انبرم فسلب عقله الكامل وعلمه الشامل
ودهاه الذى كان يضرب به المثل وزين له من يزيد حسن العمل
وعدم الانحراف والخلل كل ذلك لما اشار اليه الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم من انه اذا اراد الله انفاذ امره سلب ذوى
العقول عقولهم حتى ينفذ ما اراده تعالى فمعاوية معذور
فيما وقع منه ليزيد لانه لم يثبت عنده نقص فيه بل كان يزيد
يدس على ابيه من يحسن له حاله حتى اعتقد انه اولى من ابناء بقية
الصحابة كلهم فقدمه عليهم مصرحا بتلك الاولوية التى تخيلها
ممن تسلط عليه ليحسنها له واجباره للناس على ذلك انما هو
لظنه انهم انما كرهوا توليته لغير فسقه من حسد او نحوه ولو
ثبت عنده ادنى ذرة مما يقتضى فسقه بل او اثمه لم يقع منه
ما وقع وكل ذلك دلت عليه هذه الكلمة الجامعة المانعة
وهى قوله ولولا هواى فى يزيد ابصرت قصدى فتامل ذلك
لتحيط منه بما ذكرته وفتحت لك باب ما بقى فى كلامه من
الاشارات والاعتبارات والله سبحانه الهادى الى سواء
السبيل ونسئله ان لا يزين لنا ما يكون سببا للانحراف
عن سنن البرهان والدليل ومنها ٢٣ انه حاز شرف الاخذ
عن اكابر الصحابة والتابعين لهم وتشرف اخذ كثيرين من اجلاء

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)